

امكتبة القبطية على الانترنت



بطريركية الأقباط الأرثوذكس
خدمة الشباب

مع وليد المذود

الأنبا موسى
أسقف العام



بطريقة الأقباط الأرثوذكس
خدمة الشباب

مع وليد المذود

الأنبا موسى
الأسقف العام

مقدمة

أسئلة كثيرة تجول في أذهان الشباب عن وليد المذود ، الطفل الإلهي ، الرب يسوع . ترى... كيف يكون المسيح ابن الله وابن الإنسان في آن واحد؟ وماذا إتخذ جسداً وحل بيننا؟ وماذا إختار هذا الوقت بالذات ودعاه «مساء الزمان»؟

وتلك السلسلة من الأسماء في أنساب المسيح ، ماذا تعني بالنسبة لإيماننا؟ وبالنسبة لي أنا شخصياً؟

وماذا عن جوقة الميلاد التي أشتركت فيها السماء مع الأرض؟ وترثيمة لميلاد التي مازالت أصدائها تهز وجداننا على مر السنين؟

ألا يستدعي كل ذلك وقفة تأمل ، وصلاة ووليء المذود ، محض البشر؟

بين يديك أيها القارئ الحبيب تأملات بسيطة في الميلاد ، إقرأه وإشبع بالمولود الإلهي ، وإسجد أمامه خشوعاً وحباً مع الرعدة والمجوس ، فليجعل الرب هذه الصفحات ذات فائدة لنا بصلوات تبتنا إليها لبعض الأنا شنوده نشانت...

ونعمة الرب تشملنا جميعاً

الأبنا موسى
الأسقف العام

١

ميلادين للسيد المسيح

السيد المسيح - له المجد - ميلادان ؛ الأول قبل كل الدهور، وهو ميلاده من الآب، كولدادة النور من النار. وهذا الميلاد المذكور في الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا: «في البدء - أى منذ الأزل - كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله» (يو: ١).
والكلمة *Logos* تختلف عن *Word*. وأحياناً يعبرون عنها بـ *Word within Word without* أى: الكلمة المعقولة الخفية، الكلمة التطوقة المعلنه.

والرب يسوع، أقنوم الإبن، هو الكلمة المعقولة الخفية، هو الحكمة الإلهية. أما الميلاد الثاني فهو الذى تحدثت عنه الأناجيل (مت ١، ٢، لوقا، ٢، يوحنا: ١ - ١٨) ... حين «صار الكلمة جسداً» أو بتعبير أدق «حين إتخذ الكلمة جسداً» حسب المنع القبطى *ἡ ἁγία* *καὶ* *ἐγενήθη* *σὰρξ* وتعنى عدم الشغيف والصيرورة ولكن مجرد إتخاذ اللاهوت لجسد، أو إتحامه بتناسوت كامل، ما خلا الخطية وحدها.
ترى ... ماذا يعنى كل ميلاد منها؟

الميلاد الأزلي ...

إننا اعظم جوهري واحد وثلاثة أقانيم ... حيث الجوهر يعنى تفرده
الله بسمات وكمالات خاصة يختلف فيها عن جوهر الطبيعة البشرية
المحدودة القاصرة، أو جوهر أى كائن آخر على وجه الأرض أو في
أى موقع بالكون .

أما الأقنوم *Hypostasis* فهو يعنى «خاصية
ذاتية» في هذا الجوهر الإلهي - بدونها لا يقوم الجوهر» . فإننا فيه
ثلاثة خواص ذاتية أساسية لقيام جوهره وهي :

- ١ - خاصية الذات الإلهية ... فهو كائن بذات فريدة خاصة به .
- ٢ - خاصية الحكمة الإلهية ... فهو مهندس الكون الأعظم ، الذي
يسوس الموجودات بحكمته الفائقة ، والذي منح الإنسان العقل .
- ٣ - خاصية الحياة الإلهية ... فهو سر الحياة في الكون ، ومانح

الحياة كيف لا يكون حياً؟!!

كل ما في الأمر أننا إستخدمنا ألفاظاً أخرى للتعبير عن هذه
الأقانيم أو الخصائص لذاتية أو الركائز إن جاز هذا التعبير (*Hypo*
= تحت ، *Stasis* = قائم) ... فهي الركائز الإلهية التي بها يقوم

الجوهر الإلهي ... نقول إننا إستخدمنا ألفاظاً أخرى بدل الأولى :
الذات الإلهية + الحكمة الإلهية - الحياة الإلهية = إله واحد
الآب + الإبن + الروح القدس = إله واحد

ولكن لماذا هذه الألفاظ والتسميات لأخرى :
لماذا ندعو الذات الإلهية أباً ...
والحكمة الإلهية إنياً ...
والحياة الإلهية روحاً ؟

لأسباب بسيطة جداً :

١ - الذات أصل الكيان والوجود ، دعيت أباً وليس أباً وهي
كلمة
سريانية تعني الأصل ، لأن الله أصل الكائنات كلها .

٢ - والحكمة هي القوة المفكرة في الكيان ، وكل ما ينبع منها
نابع من الكيان ، كولادة النور من النار ، أو ولادة الكلمة المنطوقة
من الكلمة المعقولة ، وهي ولادة روحانية سامية وليست حسية أو
جسدانية ، كما نقول إبن النبل أو إبن مصر ، أى يحمل سمات كل
من ولد على ضفاف النيل وإستظل بساء مصر .

٣ - أما الحياة فدعوها روحاً ... وهي التعبير اليومي إذ نقول عن
إنسان ما فاضت روحه الطاهرة ، أى خرجت نسمة الحياة منه .

+ + +

من هنا نقول أن السيد المسيح « مولود من الآب قبل كل الدهور » (قانون الإيمان) ، أى أن أقتومه هو أقنوم الفكر والحكمة فى الجواهر الإلهى . وولادته من الآب ولادة روحانية سامية ، وليست حسية أو جسدية ، كولادة النور من النار :

١ - فالجواهر واحد : النار والنور ... « أنا والآب واحد » (يوحنا : ١٠ : ٢٠) .

٢ - والاتحاد بينها صحيح ، لا يمكن فصلها (النار فى النور والنور فى النار ... يستحيل فصلها ... « الآب فى وأنا فى الآب » (يوحنا : ١٠ : ٣٨) ، « الآب الحال فى هو يعمل الأعمال » (يوحنا : ١٤ : ١٠) .

٣ - ولا يوجد فرق زمنى بينها ... هل ظهور النار سبق ظهور النور ... أما أنها ظهرا فى نفس الجزء من الثانية ؟

كذلك فالآب لم يسبق الإبن كما يحدث فى البشر ، فتلك ولادة روحية ، وهذه ولادة جسدية . بل إن الإنسان يمكن أن يكون أباً وإبناً فى آن واحد ، أو أن يحسن خاصية الأبوة ولبنوة كائنتين فى داخل نفسه .

+ + +

الربط بين الميلادين ...

ربط معلمنا يوحنا بين الميلادين ، فبعد أن قال « في البدء كان الكلمة » (يوحنا : ١) قال : « والكلمة صار جسداً وحل بيننا » (يوحنا : ١٨) . وكذلك مع معنا بولس حين قال : « الله بعدما كلم لآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في إبنه » (عب ١ : ١ ، ٢) .

ذلك لأن « الله روح » (يوحنا : ٤ : ٢٤) ، والإنسان روح وجسد ، لذلك رأى الله أن يتجسد ، ليتحد بطبيعتنا ، وتحد نحن به [أخذ الذى لنا ، وأعطانا الذى له] (لقدیس أناسیوس) . وهكذا لبس جسداً ما خلا الخطيئة ، فصرنا بذلك « شركاء لطبيعة الإلهية » (٢ بط ١ : ٤) .

الإبن ، الحكمة الإلهية ، بالتجسد ، اختزل المسافة بين الإلهي والإنساني ، بين السماء والأرض ، بين الزمن والأبدية ، وهذا الأمر يفوق العتول ، لكنه معقول . بمعنى أن كيفية حدوثه سر فائق ، ولكن إمكانية حدوثه أمر يمكن إدراكه ، إذ ما أسهل أن يتنازل الكبير إلى الصغير ، ولكن ما أعسر العكس . ما أسهل أن يتجسد الإله القادر على كل شيء ، ويتخذ جسداً بلا خطيئة ، يلتحف به ، ويحفي وراءه سر لاهوته ، وما أصعب أن يشترك الإنسان الساقط في الطبيعة الإلهية ، ما لم يأب الفذادى ويسد ديونه ، ويحدد طبيعته ، ويجعله قادراً بعفته على لإتحاد بالله والتسامي إلى فوق .

مثال بسيط ...

البالون الفارغ من الهواء الثقيل ومنجذب للأرض ، يستحيل أن يطير في الهواء إلى أعلى . ولكن حيناً تملأ البالون بالهواء ، يطير في الهواء ، ويتخلص من جاذبية التراب ، ويتسامى إلى فوق .

هكذا أجسادنا الكثيفة الخاطئة نشدنا إلى أسفل ، ولكن سكنى الله فينا ، تتسامى بنا ، وتعطينا إمكانية الصعود إلى فوق ، بنعمة روحه العامل فينا .

+ + +

الميلاد الزمني ...

وهكذا لما جاء « ملء الزمان » (غل ٤ : ٤) ، أتى الوقت المناسب والمعين من قبل الله ، تجسد أقنوم الكلمة ، وحل بيننا . ولا شك أن كل التاريخ قبل التجسد ، إنما كان يخدم التجسد ، لهذا فقد إنقسم التاريخ إلى حقبتين : قبل الميلاد (ق . م) ، وبعده الميلاد (ب . م) .

نعم فلنكن بولد السيد المسيح ، كان لا بد أن يولد من عذراء ظهور ، وليس من زوجين ، كى لا يصير له أب بشرى وهو ابن الله .

وهذه العذراء كان لا بد من أن تكون منتحبة إلى شعب ما...
شعب بني إسرائيل ، لهذا إختارهم الرب وطهرهم بالنار من عبادة
الأصنام ، ليتجسد من إحدى عذاراهم ، وهو إختيار زمني مجرد أن
يولد من سلاتهم ، ولكنه ليس إختياراً أبدياً أو خلاصياً ، فلا
خلاص إلاً بالإيمان بالمسيح ، سواء لليهود أو للأمم .

كما أن الرب أعد العالم مجيئه بأسلوب فائق الحكمة ... وبعد أن
جهز كل شيء : العالم ، والعذراء ، تجسد من مريم ليعمنا ، ويخلصنا ،
ويتعد بنا ، ونشكده به ... له كل المجد .



٢

ملء الزمان

« لما جاء ملء الزمان ، أرسل الله ابنه ، مولوداً
من امرأة ، مولوداً تحت الناموس ، ليفتدي الذين تحت
الناموس ، لبنا للابن »
(غل ٤ : ٤ ، ٥) .

حنين قديم ...

منذ أن سقط أبونا آدم ، وهناك حنين قديم ، سواء في قلب الله
المحب ، المشتاق لخلاص الإنسان ، أو في قلب الإنسان المناط ،
المشتاق إلى خلاص الله .

الله لم يكف عن السعي لتدبير خلاص الإنسان ، فلقد أخذ تلك
المسئولية الحسيمة على عاتقه ، من فرط حبه . إذ كيف سمح الله
بهلاك صنعة يديه؟! هذه هزيمة منكزة أما الشيطان . إذن فليسامح
الرب آدم!!! هذا حل فاصر ، يغفر لآدم خطايا ، الماضية دون أن
يجدد طبيعته لتنتصر على الخطية . فقد تلوثت الطبيعة البشرية ،
ولهم تطهيرها ونخلتها من جديد . وليس مجرد غفران الماضي .

وأين عدل الله ؟ إن كان الله سيسامح آدم وهو الذي حذره قائلاً : « يوم تأكل منها ... موتاً تموت » (تك ٢ : ١٧) . المحبة ستأخذ حقتها بالغفران ، ولكن لعدل - هو أحد الكمالات الإلهية - سيظل معطلاً ، لم يأخذ حقه ، ولم يبرز وجوده .

إذن ، فليست جسد الكلمة ، لكن بلاهوته يصير بلا خطية ، وغير محدود ، وفادر على الفداء ، وبناوته يصير نائباً عن البشرية ، يموت بدلاً منها ، ويقوم وقيمها معه .

من هنا رسم الرب تديراً ضخماً وطويلاً لخلاص الإنسان ... فما هو؟

التدبير الإلهي للخلاص ...

١ - الكلمة المنطوقة ...

بدأ الرب مع آدم بالكلمة لمنطوقة في صورتين :
أ - التحذير والوصية : « يوم تأكل منها موتاً تموت » (تك ٢ : ١٧) .

ب - الوعد والنسوة : إذ قال لحنية : « أضع عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك ، وأنت تسحقين عقبه » (تك ٣ : ١٥) .

ولا شك أنه كانت هناك أحاديث مستفيضة بين الله وأبويننا الأولين، داخل الجنة وخارجها. قاله صرد آدم من الجنة من قرط حبه، نثلاً يأكل من شجرة الحياة، فيحيا إلى الأبد في خطيته. لقد أُجِّلَ ذلك لنا بعد الفداء، وأعطانا جسده ودمه شجرة حياة جديدة.

ومستمر الرب يستخدم أسلوب « لتقليد الشفاهي » مع آباؤنا على التوالي... مع أسلوب « الكفارة بدم الذرائع ».

٢ - تجديد الأرض ...

وفي أيام نوح رأى الله أن تجديد الأرض درس هام لمبشيرية على التوالي، وعمل هام من أجل تجديد حلقة الإنسان وروحه، في صورة محاولات بشرية لإرضاء الله، إنتظاراً للمخلص الفادى.

وسبنا لطوفان في أوج جيروته يملأ قلب الإنسان القديم رعباً من الله، وعمافة من قضائه، إذ بالرب يفتح قلبه الرحيم فيطلع نوح على حسانه الثابت، وتظهر علامة « قوس قزح » في السحاب تذكيراً لنا بحكم الله، ومراحه التي تفتخر على قضائه.

٣ - إختيار الشعب ...

ثم إختيار الرب إبراهيم، وأعطاه نسلأ من ابنه إسحق، وإسحق ولد يعقوب، ويعقوب ولد الأسياط. وصار بنو إسرائيل شعباً كبيراً،

رعاهم الرب رعاية خاصة فيها يظهر حب الله للإنسان، فها هو يطعمهم في البرية، ويفجر لهم الماء من الصخرة، ويقودهم بعمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً، وتعاليمه لا تلبس، وتنصرتهم على معانيلهم مضمونة... إلخ. وذلك كله لا يتعارض مع عدل الله الذي أراد أن يطهرهم من عبادة الأصنام فيستخدم مع البشر - وهم في بدائية وصفولة في طريق الروح - آلاف كثيرة، كالحروب والأوبئة والحيات والكوارث المختلفة، حتى يحفر في قلوبهم الإحساس بوجود الخالق، معطي الحياة، وقائد الشريعة إلى ما ينفعها وينمها.

واستمر الرب يتعامل مع بني إسرائيل في موجات متتالية من البشر، وفي أساليب متباينة من التعامل، مرة ينتصروا وأخرى ينهزموا... مرة يستريحون ومرة يتعبون... مرة يملكون وأخرى يستعبدون لأمة غريبة... كلها محاولات ترويض للقلب المشري الغليظ، حتى يتأهل بعد تطهيره من الوثنية، أن تولد فيه عدراء طهور، تصير إناء للتجسد، ومعادلاً لإتحاد الطبيعتين في طبيعة واحدة.

٤ - الناموس المكتوب ...

أرسل الرب ص - من خلال موسى النبي - ناموساً مكتوباً، ووصايااً مجددة، وتعاليم فيها ما ينمي الروح : كوصايا عبادة الله والأعياد والذبايح، وفيها ما ينمي الجسد :

كالمصابا الخاصة بمرض الجسد ، ومرض الحائط ... إنح ، وفيها ما ينمى النفس : كإطلاق العيد العبرانيين بعد ست سنوات .

ولكن التاموس بكل وصاياہ وتحذيرته لم يكن سوى مرآة كشفت للإنسان صورته الساقطة ، أو كمجس دخل إلى أعماق لطبيعة الإنسانية وأخرج ما فيها من شرور وإخفاقات إلى دائرة النور... وهكذا يقول الرسول : « هل التاموس خطية ؟ حاملاً... بل لم أعرف الخطية إلاً بالتاموس : فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل التاموس لا تشنه » (روم : ٧ : ٧) ، فسقد كشف التاموس الخطية الكامنة فينا . وهكذا سقطنا تحت حكم التاموس إذ يقول : « إن أجرة الخطية هي موت » (روم : ٦ : ٢٣) .

إذن ، « فماذا التاموس ؟ » (غل ٣ : ١٩) ... « قد زيد سبب التعدييات إلى أن يأتي النسل الذي قد وُعد له به ... كان التاموس مؤذنا إلى المسيح لكي تثبرر بالإيمان » (غل ٣ : ٢٤) . أي أن التاموس حين كشف لنا خطايانا ، كشف لنا عجزنا عن الخلاص بإمكانياتنا . وهكذا جعلنا نصرخ منتظرين المخلص أي المسيح . فلما جاء وخلصنا ، إرتمينا في حضنه ، طالبين منه العفران ، والشطهير ، والتقديس ، في خليقة جديدة مخلوقة « بحسب الله في البر وقداة الحق » (أف ٤ : ٢٤) .

٥ - الأنبياء ...

وأرسل الرب أنبياء كثيرين ، كانوا على صلة وثيقة به ، وكانت رسالتهم :

- أ - أن يعنوا الشعب كلام الله .
- ب - وأن يحبروا الشعب بأحكام الله عليهم .
- ج - وأن يتبأوا بمجيء المخلص .

وهكذا وردت في الأنبياء عشرات بل ومئات النبوات الخاصة بميلاد المسيح وخدمته ورفض اليهود له وصلبه وقيامته وصعوده . وما أصدق قول القديس أغسطينوس : [إن العهد القديم مكشوف في العهد الجديد ، والعهد الجديد مخبوء في العهد القديم] . ويكفينا ونحن في معرض الميلاد أن نذكر نبوت أشعيا :

+ « ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل »

(أش ٧ : ١٤) .

+ « يولد لنا ولد ، ونعطى ابناً ، وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجباً مشيراً ، لهماً قديراً ، أباً أبدياً ، رئيس السلام »

(أش ٩ : ٦) .

إنه ليس مجرد ولد ، ولكنه الإله القدير وقد اتخذ شكل إنسان ،

خلاصاً للإنسان... «عظيم هو سر التقوى، الله ظهر في الجسد»
(١ قى ٣ : ١٦).

٦ - أسواق البشر...

عبر أشعيا النبي عن أسواق البشر للخلاص بقوله: «ليتك تشق
السموات وتنزل» (أش ٦٤ : ١)، كما عبر أيوب الصديق عن شوقه
للمخلص بقوله: «ليس بيننا مصالح يضع يده على كينا» (أى ٩ :
٣). وعبر فلاسفة الأمم عن نفس الإشتياق من خلال فسفاتهم
وإطبرهم وأشعارهم... فكان الكل ينتظر المخلص.

٧ - اعداد مسرح العالم للتجسد...

ثم أعد الرب مسرح العالم مجيء ابنه متجسداً في صورة إنسان
فقال:

أ تمت ترجمة التوراة من العبرية (لغة يهود فلسطين
المتعصبين) إلى اليونانية (اللغة العالمية آنذاك) وهى السماه
بالسبعينية !

ب - صد العالم لسان واحد أساسى (اليونانية) بسبب
فتوحات الإسكندر الأكبر .

ج - عبّد الرومان - رجال الحرب والقوة - طرقاً طويلة تعبر القارات ، وأسّسوها بجنودهم وحراسهم ، مما سهل لمرسل عملية الكرازة بالإنجيل .

د - ظهر فلاسفة اليونان الداعين إلى المثاليات والتسامي . وتم رفضهم رغم إعجاب العالم بفكرهم ، فقد كانوا « أنبياء الوثنية » حسب تعبير القديس كليمنس الإسكندري .

هـ - حتى اجوس - في بلاد لشرق - كانوا يتطلعون إلى النجوم في إنتظار ملك اليهود ، ونجمه الفريد ، على أساس بوء بلعام ، ... وبالأكثر تحديداً نبوة دايايل .

وهكذا كان العالم كله يتوق إلى يوم الخلاص : وإلى خص المخلص ، وهذا هو « ملء الزمان » ... أي اليوم المناسب للتسد من العذراء الطاهرة ، في شعب طهره بالنار من عبادة الأصنام وفي عالم متلاً شوقاً بحبي المخلص .

و يدعون إسمه
عمانويل
الذي تفسيره الله معنا

٣

أنساب المسيح ... أين أنا منها؟

« وداود الملك ولد سيمان ، من ابني لأوريا »
(مت ١ : ٦)

ماذا تعني سلسلة الأنساب : التي أوردتها الإنجيل مرتين : الأولى في إنجيل معلمنا متى (١ : ١ - ١٧) ولثانية في إنجيل معلمنا لوقا (٣ : ٢٣ - ٢٨) ؟ إنها سلسلة طويلة من الأسماء الصعبة ، فلماذا أوردتها الإنجيل ؟ الأسباب كثيرة ، وهذه بعضها :

١ - المسيح ابن الإنسان ...

وهذا - ركز عليه معلمنا لوقا ، الذي كتب إنجيله لليونانيين ، أي للأمم ... هؤلاء يحبون أن يروا مخلصهم - الرب يسوع - بشراً للإنسانية ، يتفقد من عدوها ، ومن نفسها . لذلك أورد معلمنا لوقا نسب السيد المسيح حتى آدم ... أب البشرية كلها . وكم كان هذا مفيداً وبشراً لنفسه الأمم ، حين يروا أن مخلصهم جاء من وسطهم ، من لحمهم ودمهم ، وإن كان بلا خطية .

٢ - المسيح ... ابن داود ...

وهذا ما ركز عليه معلمنا متى ، فقد كتب إنجيله لليهود ، الذين بهمهم أن يعرفوا أن المسيا المنتظر ، مخلص البشر ، هو ابن داود حسب النبوات العديدة التي وردت في توراتهم . وبالفعل ... أورد معلمنا متى النسب ابتداء من إبراهيم - الأب الأول لليهود - وحتى داود - الملك المرموق في تاريخهم - ثم إسترس حتى وصل إلى يوسف رجل مريم ... الذي خطبها خطبة شرعية لتكون في حصاته ، دون نية الزواج الفعلي بذليل تعجب العذراء من رسالة الملاك أنها ستلد «بوطها» «لست أعرف رجلاً» مع أنها كانت مخطوبة ليوسف ، ف يعني الإرتباط الشرعي دون الزواج الفعلي .

٣ - المسيح ... مخلص الخطاه ...

وردت في سلسلة أنساب المسيح أسماء نسوة نسوب إليهن الضعف وأحياناً الخطية والسقوط ... فمثلاً «ثامار» كانت رمزاً للضعف حيث أنها - رغم فوت السنن - ظلت تطالب بحقها في الزواج الثالث بعد موت الزوجين الأولين ... وناهنيها يهوذا وبه بعضها ابنه الثالث ، أجبرته على الزواج منها حية فقرأها في تكوين (٣٨) . ومع أن هذا حقاً القانوني - إلا أنه الأسلوب فيه إرتباط بالحسين وازمن وما إلى ذلك .

« ما » التي لأوريا « وإسمها بتشيع ، فكانت تحت ضغط وإغراء حقاً ، ولكنها ضعفت أمام دود الملك ، ولم تكن مينة لزوجها أوريا الحثي (أنظر ٢ صم ١١) .

وكذلك راحاب ... وأى إسم آخر ... إنما هو بالقطع محاط بالضعف ، وساقط في الخطية سواء اجدية أو الفعلية ... لكن شكراً للرب أنه لا ينجل من ضعفنا ، ولا يزدلنا من أجل خطايانا ، بل أنه يتخذ بنا يخلصنا ، وجاء من نسل بشرية ليكون خير شفيع لها .

إن الرب يسوع مستعد أن يولد في قلبي رغم ضعفاتي وخطاياي وميولي المتحرفة ... مستعد أن يدخل الى مذود حياتي رغم ما فيه من شهوات هيمية ... ذلك لأنه المحبة ، ولأنه الخلاص .

٤ - المسيح ... مخلص الأمم ...

وفي سلسلة الأنساب نقرأ إسم راعوث الأثمية التي لم تكن من شعب الله القديم ، ولكن الرب أدخلها في عداد أسابه ، ليؤكد لنا أنه مسيح العالم كله ... مسيح للأمم . ألم يكن هو الذي أوصى تلاميذه قائلاً : « إذهبوا ، وتمذوا جميع الأمم » (مت ٢٨ : ١٩) . « إكبرزوا بالإنجيل للخليفة كله » (مز ١٦ : ١٥) ، « تكونون شهوداً في أورشليم ، وكن اليهودية . والسامرة ، وإلى أقصى لأرض » (أع ١ : ٨) ؟

+ + +

ملاحظات على سلسلي الأناساب ...

تبقى بعض الملاحظات المختصرة غير المعتدة على سلسلي الأناساب كما وردتا في إنجيلي متى ولوقا ... وهي :

١ - معلمنا متى بدأ من إبراهيم ونزل إلى يوسف ... مشتباً أن يسوع هو ابن داود، لأنه كتب لليهود وهذا ما يهمهم . أما معلمنا لوقا فأورد النسب تصاعدياً من يوسف حتى آدم ، لأنه كتب للأمم بهمهم أن يكون المخلص للعالم أجمع .

٢ - معلمنا متى أورد ٤٠ اسماً حتى إلى يوسف ، بينما أورد معلمنا لوقا ٧٣ اسماً (حيث ريسا - في أرجح الآراء - معناها الرئيس ، جاءت لقباً لزيبايل) .

٣ - معلمنا متى أسقط بعض الأسماء ليجعل من كل مجموعة ١٤ جيلاً ليسهل حفظها (حسب طريقة اليهود) . وليلتزم بالسباعيات (رقم الكمال عندهم) .

٤ - بعد داود أخذ معلمنا متى النسب من ابنه سليمان ، بينما أخذ معلمنا لوقا النسب من ابنه دathan .

٥ - منشآت (في لوقا) هو نفسه متان (في متى) ... ومعروف أنه في اليونانية مثلاً تتغير نهاية الاسم حسب موقعه وإعرابه .

٦ - إنهي معلماً متى إلى يعقوب (ولد يوسف الشرعي) بينما
إنهي لوقا إن هان (والد يوسف الفعلي) ... إذ أنه لما مات يعقوب
دون نسل ، أخذ هان زوجته وأقام نسلًا على اسم أخيه ، حسب
قوانين اليهود .

٧ - يرى البعض أن معلماً متى ذكر أنساب يوسف لبار ، بينما
ذكر معلماً لوقا أنساب مريم لعذراء... وكثيراً ما تعود ليهود أن
يذكروا اسم الزوج الشرعي بدلاً من فرينته .

+ + +

غاية الأمر أن الرب يسوع جاء إنساناً للإنسانية كلها ، وإنساناً
لمسك داود ، تحقيقاً للنبوءات المتعددة التي وعدتنا به محصاً لبشرية
من ورطته الخطيرة والمهلكة ... فهل أنا ضمن هذه البشرية المقتدة ؟
وهل صار لرب مخلصاً يوماً لحياتي من شرور وإرتباكات ومشاكل
هذا الزمان ؟ وهل ولد المسيح في قسبي ، مظهر إياي من كل
خطاياي ؟

نورُ المحلان للأمم

٤

جوقة الميلاد

« وظهر بغتة مع الملاك ... جمهور من الجند
السماوى »
(لوقا : ٢ : ١٣) .

تتكون جوقة الميلاد من عناصر عدة ؛ بعضها سماوى ، والآخر
أرضى ، مما يؤكد اثمرة الأولى لتجسد المسيح وهى إتحام السماء
بالأرض ، وعبر الفجوة التاسعة بين عالم السمائين بطهرهم ، وعالم
الأرضيين بخطاياهم . إنها معجزة لميلاد المهرة ، والتي تنفرد بها
المسيحية ، حيث يتنازل الله إلينا ، ليعالج ضعفنا ، ويخلص طبيعتنا
من الفساد ، ثم يحملنا على أجنحة السور ، ويأق بنا إلى حضرته
القدسة .

أما عنصر الجوقة الميلادية فهى :

١ - الملائكة ...

ملاك يبشر العذراء ، وآخر يقود يوسف ، وجوقة كجمهور تشير
بالمولود الإلهى : « ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ،
أنه ولد لكم اليوم عمص هو المسيح الرب » (لوقا : ١٠ ، ١١) . ثم
أعطى الملاك العلامة لمرعاة ، لنبصوا إلى المولود المعجزة ، عمص
لعالم . ثم رنموا ترنيمتهم اخادة .

ولا شك أن السماء ومكانها قد رغبوا خلاصتنا نحن البشر، فهناك
رابطة خفية تربط بيننا وبينهم، فهم الملائكة القديسون، الذي
جازوا بنجاح فرصة إختبارهم، ورفضوا طريق الشيطان، واستمروا
يخدمون الرب ويتمنون مقاصده عبر الزمان.

بل أن للملائكة كانوا يعاونون من سطوة الشيطان في اعلم، وعلى
أرواح الموق في الجحيم، قبل اصيب، ندرجة أن لشيطان عدو
ملاكاً عن عمله في العهد القديم، ولكنه انتصر عليه بقوة الرب
وبعونة رئيس الملائكة ميخائيل (دا: ١٠: ١٣).

وهكذا كان اتخلص، مخلصاً للجميع، وكان الخلاص فرحة
للسمائيين والأرضيين... ومازالت السمائيون يفرحون بتوبة خاطيء
واحد!

٢ - الرعاية ...

جاءوا من باديتهم (رمز الفقر والجفاف) ، ومن نبيهم (رمز
الظلام الروحي لدى ساد لعالم قبل أن يأتي نور اعلم) ، ومن
سهرهم (رمز انتظار اتخلص ولحنين للقيادة) ... جاءوا ببساطتهم
وفقرهم (رمز الفقر الروحي لمبشوية) ... جاءوا ليسجدوا للمفضل
المعجزة « الولد » و « الإسن » الذي صار « إهاً قديراً ، أباً أبدياً ،
رئيس السلام » (أش : ٩ : ٦) .

ولا شك أنهم كيهود كانوا ينتظرون المخلص حسب وعد :
« وأنت يا بيت لحم ... لسب الصغرى بين رؤساء يهودا ... لأن منك
يخرج مدير يرعى بيت إسرائيل » (ميتخا ٥ : ٢) (مت ٢ : ٦) .

٣ - المجوس

وهؤلاء كانوا يتأملون النجوم في دراسة لحلوقات الله أقرب إلى
التعدس ... وقد دلت رؤسهم نبوة نعام : « أراه ... ولكن ليس الآن .
أبصره ... ولكن ليس قريباً . يبرز كوكب من يعقوب ، ويقوم
قضيبي من إسرائيل ... ويتسلط الذي من يعقوب » (عد ٢٤ : ٧ ،
١٩) . أخذوا يرقبون النجوم ، إنتظاراً لذلك لكوكب ، الذي سيعلن
ميلاد الملك .

كما أن المجوس كانوا ينتظرون تحقيق سوة دانيال ، قبل الميلاد
بخمسة قرون ، حيث حدد فيها ، وبدقة نبوية مذهبة ، موعد ميلاد
المخلص حين قال : « إنه من خروج الأمر لنجديد أورشليم وبدائها
إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع ، وإثنان وستون إسبوعاً ... وبعدها
يقطع المسيح (أى يُصلب) ... ويشبث عهداً مع كثيرين »
(دانيال ٩ : ٢٥ - ٢٧) ... حيث الأسبوع سبع سنوات .

ومع أن هداياا المجوس كانت على ثلاثة أنواع : ذهاً (إشارة
للك المسيح) وليساً (إشارة لكهنوته) ومرأ (إشارة لآلامه

النفذائية)... إلا أن عدد المحوس كان -حسب أرجح الآراء- ضخماً، يقرب من مئات. ذلك لأن أورشلیم كانت مدينة سياحية يدخلها أجانب من أنحاء الأرض في الأعياد لتقديم الذبائح (الأمم لمتهودون)... فما كان من المعقول أن تهتز، ومعها ملكها هيرودس، من دخول ثلاثة رجال أغراب. وإن كان البعض يرى أن الهزة كانت بسبب كلامهم عن نجم ظهر، وملك ولد.

إنهم أن اليهود علموا من كتبهم بموعد، ومكان الميلاد، وأرشدوا المحوس (الأمم) إليه، ولكنهم لم يذهبوا هم. وهكذا في كل حين، المسيح اتخص قد ولد، ولكن ثاساً أحبوا العام الحاضر كهيرودس فإضطربوا لميلاده، وآخرين أحبوا مجد الناس كرؤساء الكهنة فلم يتحركوا لرؤيته. لكن الرب يشر لعالم كله، لأنه أحب العام كله، بميلاد خلاصى هو لى أن وحدى، كما أنه للبشرية كلها!

٤ - الأسرة المقدسة ...

العدراء ... بصمتها العملاق، حيث كانت تكتم الشرى حتى عن يوسف، وتحفظ جميع هذه الأقول متفكرة بها في قلبها. العدراء... بتواضعها الفائق الذى جعلها لا تطلب زواجاً ولا أولاداً مع أن الكل تسابقوا لذلك لعل المسيا يكون من نسلهم. ولما حكمت على نفسها أنها لا نستحق أن يأتى المسيح من أحشائها، أحتارها الرب لذلك، وملاها نعمة، وقدم أحشاءها، وسكن في باطنها، إعلناً

أنه يجب التواضعين ، وهو مستعد أن يسكن في دخلهم .

يوسف ، برزنته الفاتقة . لم يرد أن يشهوها . وأراد تغليبها سرأ... ولكنه إنتظر مشورة السماء ، وأطاعها بكل قلبه . فإسحق أن يصير خادماً لسرّ الخلاص ، وحارساً لمخزن الإلهي . وفي كل خطواته كان ينقاد برأى لسماء : « أهرب إلى مصر » ... « إذهب إلى أرض إسرائيل » ... لكن إرخيلاوس سيكون كهيرودس يرب ... « حسناً ... إذهب إلى الناصرة » .

٥ - الكون كله ...

+ النجوم ... أرسلت نجماً يشعلها ... وكذلك لللائكة
والبشر ...

+ واحيونات ... أحاطت بانوود الذي يطعمها ...

+ والنباتات ... ملأت المذود طعاماً لكل من فيه ...

وهكذا إنتشرت أنعم الميلاد في فرحة عارمة شملت كل
العالمين ... وفاح أريج بشراد العطر ، فأسعد الخليقة طراً .

+ + +

وهكذا حول ويد المذود الإلهي ... إلتف كل هؤلاء ... يتدمعون
السجود والثناء ... وينشدون تسبيح السماء ... في جوقة شامنة نادرة
الوجود ... لأنها شملت كل لوجود .

ترنيمة الميلاد

« اجدد الله في الأعالي، وعلى الأرض السلام
وبالناس المسرة »

(لوقا : ١٤ : ٢) .

صرخت الملائكة بهذه الترنيمة الخالدة : لتي تلخص لنا بركات
الميلاد في حياتنا ، وهي :

١ - بركة معرفة الله ...

فبالرغم من أن الله يسكن في « نور لا يدنى منه » (١ تي : ٦ :
١٦) ، وأنه قال : « الإنسان لا يراني ويعيش » (خر ٣٣ : ٢٠) ،
إلا أنه بالميلاد تنازلاً إلينا ، « وحل بيننا ... وأبنا مجدده » (يو : ١ :
١٤) . فالتجسد الإلهي هو إختزال فريد للمسافة الشاسعة بين مجد
الله في الأعلى ، وبين إتضاع الله حين نزل إلينا .

وما اجدد الله في الأعالي !!! فما المقصود يا ترى « بالأعالي » ؟
إن كان السماء - بعد التقدم المذهل في علوم الفضاء - لم يصلوا إلا إلى
النذر اليسير من أسرار هذا الكون ، وأسرار تكويناته ! فنحن تعلم مثلاً
أن الأرض كوكب صغير ، يدور حول الشمس ، وحول نفسه ، وعلى

زاوية محددة هي السبب في إختلاف الفصول . والقمر يدور حول الأرض ، والشمس تتحرك ... والكل يتحرك ... والكل ملتهب ... ولكن قوانين المهندس الأعظم تضبطها جميعاً فلا تصادم ولا تنغير سرعتها . ولو أن الأرض مالت قليلاً نحو الشمس ... لأحترقت وأحترقنا معها .

وهكذا إكتشف العلماء إن هذه المجموعة الشمسية هي إحدى ملايين المجموعات في مجرة ، هي إحدى ملايين المجرات . فما الإنسان إذن؟ مجرد جراثيمة صغيرة على ذرة رمل تجوب أنحاء الفضاء الهائل .

ولكننا في المسيح تعرفنا على الله ... تماماً كما يُجسد المصباح طبيعة الكهرباء وإمكانيات النذبة... انصباح يقضى ، والمسجل يسجل ، والميكروفون يكبر الصوت ، والمروحة تطفئ الجو ، والكاميرا تصور... إنها تجليات للكهرباء غير المنظورة وغير لممكن لمسها . فكيف بالحرى إلهنا العظيم ، غير لدرك : الصواب الإلهي المقدس ، كيف يمكن لإنسانيتنا أن نتعرف عليه ، دون أن يتجسد ليصير قريباً منا؟ وهكذا كمعلم صالح نرب إلى إتضاعنا وبساطتنا يُعرفنا بذاته : «الله لم يره أحد قط... إلا من الوحي الذي في حضن الآب (أى قابع فيه حتى العمق ، فهو الحكمة الإهية أو لعقل الإلهي) ... هو خير» (يو : ١٨) .

٢ - بركة السلام على الأرض ...

والسلام هنا ليس سلاماً حياً ، فالإنسان هو الإنسان ما لم يأخذ فعل الخلاص في ذاته . إنه سلام داخلي عميق ، فيه رصانة لا تذبذب ، ورصيد لا ينتقص ، واستمرارية لا تنقطع ، « وليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا » (يوحنا : ١٤ : ٢٧) . نعم ... فالسلام لمسيحي لا يبدأ بعد إنتهاء التجربة ، بل إنه يتجلى خلالها ، ويتأق و نحن بعد في عمق الأمم . لهذا قال الرسول : « أفرح في آلامى » (كورن : ٢٤) ، ذلك لأنه كان يشعر أن الله يعمل فيه ويقدمه ويحفظه ويعطيه من حلال الأمم . وهو في سلام بسبب النتائج ، ويتحمل آلام التجارب بشكر كأنريض بين يدي الطبيب .

هذا هو السلام ... ضالة الإنسانية المستودة . السلام الذي يحفظ لقب و الفكر ثابتاً في المسيح (في ٤ : ٧) ، ويحفظ الأسرة في نربط ووحدة كاملة ، ولجتمعات - لو أطاعت صوت الله - في هدوء و صفاء و محبة .

٣ - بركة سرور الله بنا ...

نعم ... فانه بعد التجسد والعداء صار مسروراً بنا « بالناس المسرة » أى مسرور هي بالناس ... فلقد إنقش الضباب الذي كان بيننا ، وتم الصلح الكامل بين الإله لعادل والبشرية الساقطة ، وصا

الإنسان هيكله للروح القدس « أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع
 المسيح فيكم إن لم تكونوا مرفوضين » (٢ كو ١٣ : ٥) ، « أما
 نعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم » (١ كو ٣ :
 ١٦) ؟

إذن ، فيها قد رجع آدم إلى الفردوس المفقود ، ليس على مستوى
 جنة أو شجار ، بل على مستوى اتحاد بالله ، إنه فردوس الحضرة
 الإلهية الدائمة ، وشركة الطبيعة الإلهية ، وها قد عاد الرب ليفوز :
 « لذى مع بني آدم » (أم ٨ : ٣١) .

+++

شكراً لرب الميلاد ، طفل لمذود الإلهي ، من أجل هذه البركة
 المشرفة التي تجعلنا نصرخ في كل قداس إلهي : « المجد لله في الأعالي ،
 وعلى الأرض سلام ، وبالناس المسرة » (لو ٢ : ١٤) .

فليكن هذا نصيبنا من الميلاد ... حتى لا يغت من النصيب !!





يطلب من

١- مكتبة الشباب ..

بمطبعة القباطية الارثوذكس بالقاهرة

٢- سائر المكتبات المسيحية ..

